مخرج انساني ، عفوا صهيوني . المترجم لا يكتم هدفه فهو يعترف بصفاقة : « اردت من هذه المرآة ان تكون شهادة شعرية ، تمزق قلب القارىء ، على حياة ونضال واحلام وتطلعات وفرح والام شعب طال ليله وعذابه » . هذه الكلمات كانت تكون اكثر صدقا لو كتبت تقديما لاحدى دواوين محمود درويش ، توفيق زياد او سميح القاسم او اي شاعر من شعراء الشعب الفلسطيني «الذي طال ليله وعذابه » .

من ١٨٧٠ — ١٩٧٠ عرف الشعب اليهودي باللغة اليديشية ازدهارا عجيبا . فلقد حطم شعراؤه الصمت الذي حاولت البرجوازية الاوروبية في القرن التاسع عشر ان تضربه حول مأساة اليهود . لقد حول الشعراء اليهود الكلمة الشعرية الى سلاح للدفاع عن قضيته ورفضوا ان يجعلوها لعبة للتسلية والامتاع . وفي خلال قرن واحد ظهرت عشرات المدارس الشعرية اليهودية ابتداء من الشعر الخطابي المباشر الى الشعر الرمزي والايحائي . لكن ما تميزت به كل هذه المدارس المتنوعة ، بل المتناقضة ، هي انها كانت كلها ملتزمة بقضية شعب . ان ما حققه الشعر اليهودي اليديشي في قرن لم تستطع ان تحققه اداب اخرى خلال بضعة قرون . وللشعراء الفلسطينيين والعرب في ذلك درس بليغ .

يضع المؤلف في رأس الصفحة الاولى للكتاب أبياتا للشاعر اسحاق لابيوش قال عنها بانها تلخص المثل الاعلى للشعر اليديشي خلال قرن ، وهذا المثل الاعلى هو « العدالة والاخوة الانسانية » : «قطرات الدم الممزوجة بقطرات الدمع لا تذهب هدرا ، بريق العيون المغروزة فيها الحراب لا ينطفي عبثا » اصدق قصائد المجموعة هي قصائد الشعراء البروليتاريين مثل موريس فانجفسكي وروزن فيلد وافرون رايزن . انهم يحكون فصول المأساة بما يشبه الهمس ، لا مأساة كل يهودي ولا مأساة البروليتاريا اليهودية وحسب بل مأساة كل البروليتاريين في كل البلدان ويحلمون بعالم جديد لا ينتهي فيه ألم العامل اليهودي فحسب ، بل ألم كل عامل في كل مكان . يقول موريس فانجفسكي :

ايها العامل اليهودي في مجاهل سيبريا كفاك عذابا
ايها العامل من كل الاجناس في كل سيبريات العالم
ثر على العذاب .
ايها العمال ارحموا الحجارة تحت مطارقكم
واقسوا على رؤوس ظالميكم
ليس اليهودي هو الذي يتعذب
ان الانسان هو الذي يتعذب
مأساتنا هي مأساة الانسانية
يا معذبو الارض قفوا
ضعوا حدا للمأساة

تغلب على اغلب قصائد الديوان النبرة الملحمية التي نجدها عند شعراء الارض المحتلة . ونجد شبها عجيبا بين قصيدة حييم نحمان بيالك (مدينة المذبحة) حيث استعمل الشاعر نبرة الكتاب المقدس وضمن بعض اياته في بعض ابياته وبين قصيدة توفيق زياد (كفر قاسم) .

يقول بيالك :
شعبي أجتث كالعشب
لكن العشب المقتلع من جذوره يحيا ...
لا تنتظر بعد الان
خذ نفسك بعيدا
اهرب الى الذين ما زالوا على قيد الحياة
فاليوم يوم الصيام
علقهم في الهيكل
اكتب على جدرانه تاريخ قتلهم
وضع معهم
في بحر أجاج من الدموع ... ملحا
على الهيكل
اكتبوا اسماء قتلانا

ان المرء يتذكر عفوا وهو يقرأ هذه القصيدة توفيق زياد وهو ينوح في اباء و : « على جذع زيتونة » يكتب قصة امواته في كفر قاسم . اما لاينفسكي فان شعره مؤثر جدا . لقد اختزن الالم في سريرته وعاشه في اعمق اعماق وجدانه . فاكتسب شعره بالرمزية التي يكتب بها تأملاته حول مصير اليهودي في القرن التاسع عشر ومصير الانسان المستضعف والفلاحين الذين انتزعت املاكهم من اجل تحقيق التراكم البربري ، طابعا انسانيا شاملا .

الى جانب هؤلاء الشعراء البروليتاريين والانسانيين نجد شعراء صهيونيين مباشرين وتافهين يستغرب المرء وجودهم في عالم الشعر امثال ايلشومن ، فوجلير ، وافرون سوتكفير واخرون ممن يبدأون رحلتهم من سيبريا ليحطوا رحالهم في القدس . وتمر قافلتهم بمحارق النازية وغابات حرب الانتصار